سورة مريم

٥٩ – قوله تعالى: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾

القراءة: قراءة جمهور القراء: " يا يَحْيَى خذ الكتاب بقوة " بدون إمالة . ورُوي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: " يا يَحْيَ " بالإمالة فقال السخاوي: وقد رُوى في الإمالة آثار، أنا ذاكرها، من ذلك، ما روى صفوان بن عسّال، أنّه سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقرأ: " يا يَحْيي " . فقيل له: يا رسول الله، تميل، وليس هي لغة قريش ؟ فقال: " هي لغة الأخوال بني سعد " وقال السخاوي: والإمالة والتفخيم لغتان، وبجميع ذلك نزل القرآن، وليس بعض القراءة أولى من بعض، ولم يزلْ نقلُ ذلك متواتراً من زمان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى وصل إلينا[1].

---

(١) انظر : جمال القراء وكمال الإقراء جـ ٢ / ٤٩٨ .

٦٠- قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾

القراءة: اختلف القُرّاء في قوله تعالى: " عِتِيّاً " و " جثياً " . فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، في رواية أبي بكر بضم أوائل هذه الحروف " عُتِيّاً " و " بُكِيّاً " [سورة مريم / ٥٨]، و " صُلِياً " [سورة مريم / ٧٠]، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بكسر أوائل هذه الحروف إلا في قوله " بُكياً " فإنه ضم أوله . وقرأ ابن مسعود " عَتِيّاً " بفتح العين، قال ابن مجاهد: لا أعرف لها في العربية أصلاً، وقال ابن جني: لا وجه لإنكار ابن مجاهد ذلك، لأن له في العربية أصلاً ماضياً، وقال أبو البقاء: وهو فِعِيلٌ من عَتَا يَعْتُو مثل: عَصِيٍّ، وغَوِيٍّ . إلا أن عَتِيّاً هنا مصدر مثل: الحَوِيل، والزَّوِيل، والنكيرُ، والنذيرُ بمعنى الإنذار والإنكار ، وقال الزجاج: وتقرأ: عِتياً، وقد رُوِيَتْ عُسِيّاً - بالسين - ولكن لا يجوز في القراءة لأنه بخلاف المصحف وكل شئ انتهى فقد عتا يعتو عِتِيّاً، وعُتُوًّا، وعُسوًّا وعُسِيًّا، فأحب أن يعلم من أي جهة يكون له ولد، ومثل امرأته لا تَلِدُ، ومثله لا يُولدُ له . وقال الزمخشري: وقرأ ابن وثاب، وحمزة، والكسائي، بكسر العين، وكذلك صلياً، وابن مسعود بفتحهما فيهما، وقرأ أُبيٌّ، ومجاهد: عسيًّا . وقال الفراء: وقرأ ابن عباس:

عُسِيًّا [٢] . وقد روى الحاكم في مستدركه بإسناد صحيح، وابن جرير الطبري في تفسيره أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ بكسر أوائل هذه الحروف، فقال الحاكم: أخبرنا إسماعيل بن محمد بن الفضل، ثنا جدي، ثنا خلف بن هشام، ثنا خالد بن عبد الله الواسطي، عن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: لاأدري كيف قرأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " عتياً و جثياً " فإنهما جميعاً بالضم وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي [٣] . قلت: هذه القراءة المروية عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قراءة صحيحة متواترة قرأ بها بعض العشرة، فقد قرأ بها أبو بحرية، وابن أبي ليلى، والأعمش، وحمزة، والكسائي .

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ بكسر أوائل هذه الحروف أن هذه الأسماء جمع " عات وجاث " جمع على " فعول " فأصل الثاني منها الضم، لكن كُسر لتصحّ

---

(٢) انظر : السبعة لابن مجاهد ص : ٤٠٧ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ١٩١ / ١٩٢ / ١٩٤ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٦ / ١٦٦ / ١٩٦ ، والكشف جـ ٢ / ٨٤ / ٨٥ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٩٣ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٤٢٥، والتيسير ص : ١٢٠ ، والنشر في القراءات العشر جـ ٢ / ٣١٧ ، والمحتسب جـ ٢ / ٣٩ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٤١ / ٤٢ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٢٣٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٣ / ٣٢١ / ٣٢٢ ، والكشاف جـ ٣ / ٦ ومعاني القرآن للفراء جـ ٢ / ١٦٢ ، وزاد المسير جـ ٥ / ٢١١ ، والتبصرة ص : ٢٥٥

(٣) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٤٤ بإسناده ولفظه .

وابن جرير في : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٦ / ٦٤ رقم ١٧٧٠٨ وزاد " أو عِسِيّاً " .

الياء التى بعده التى أصلها واو، في " عتي وجثي " لأن الياء الساكنة لا يكون قبلها ضمّة، فلمّا كسر الثاني أُتبعَ كسرتَه كسرَ الأول، فكسر للإتباع، ليعمل اللسان فيه عملاً واحداً، وعلى ذلك قالوا: " عِصي وقِسي " فكسروا الأول على الإتباع لكسرة الثانى، وأصله " فعول " وقد يمكن أن تكون هذه الأسماء مصادر، أتت على فعول، فوقع فيها من التعليل والإتباع مثل ما ذكرنا فى الجمع، والتغيير في الجمع أحسن لثقله

وحجة من قرأ بضم أوائل هذه الحروف أنه غيّر الثاني بالكسر، لتصح الياء الساكنة، وترك الأول مضموماً على أصله، كان جمعاً أو مصدراً، أصل أوله الضم، وهو الاختيار، لأنه الأصل، وعليه الجماعة.

وحجة من قرأ " عَتِيّاً " وهو فَعِيلٌ من عَتَا يَعْتُو، مثل: عَصِيٌّ وغَوِيٌّ، إلا أن عَتِيّاً هنا مصدر، مثل: الحَوِيل، والزَّوِيل، والنكيرُ، والنذيرُ. بمعنى الإنذار والإنكار[٤]. وقال الزمخشري: مفسراً معنى عتياً أي: بلغت عتياً: وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام لعود القاحل، يقال: عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية، أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً وقال الفراء: وأنت قائل للشيخ إذا كبر قد عَتَا وعَسَا كما يقال للعود إذا يَبس[٥]. وقال مجاهد: " عتيّاً " هو قُحُول العظم، وقال ابن قتيبة: أي: يُبْساً، يقال: عَتَا وعَسَا بمعنى

---

(٤) انظر: الكشف جـ ٢ / ٨٤ / ٨٥، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ١٩١ / ١٩٢ / ١٩٤، والدر المصون جـ ٧ / ٥٧٠ / ٥٧١ / ٦٢٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٣ / ٣٢١ / ٣٣٩، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٤١ / ٤٢، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٢٣٤، وزاد المسير جـ ٥ / ٢١١، وتفسير النسفي جـ ٣ / ٣٠، وتفسير البحر المحيط جـ ٦ / ١٦٦ / ١٩٦.

(٥) انظر: الكشاف جـ ٣ / ٦، ومعاني القرآن للفراء جـ ٢ / ١٦٢.

واحد . وقال الزجاج : كل شئ انتهى ، فقد عَتَا يَعْتُو عِتِيّاً ، وعُتُوّاً ، وعُسُوّاً ، وعُسِيّاً . فأحب أن يعلم من أي جهة يكون له ولد ، ومثلُ امرأته لا تَلِدُ ومِثْلُهُ لا يُوَلّدُ له . وتقرأ " عِتِياً " . وقد رويت " عُسِيّاً " بالسين ، ولكن لا يجوز في القراءة لأنه بخلاف المصحف[٦] وقال أبو علي الفارسي : قال أبو الحسن : أكثر القراء يضمون أوّل هذا ، يعني : "عُتِيّاً " قال : وكذلك : الجُثِيِّ والبُكِيّ ، والصُلِيّ ، قال : وزعم يونس أنها لغة تميم ، وغيرهم يكسر . قال أبو الحسن : وسمعناه من العرب مكسوراً سوى بني تميم في المصدر والجمع [٧] . وقد روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : قد علمتُ السُّنّة كلّها ، غيرَ أني لا أدري أكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقرأ في الظهر والعصر أم لا ؟ . ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف " قد بلغت من الكبر عِتِيّاً " أو " عُسِيّاً " . وقال ابن عباس ، والضحاك : معنى العِتِيِّ : الكبر ، وقال مجاهد : فُحولُ العظم . وقال قتادة : سِنّاً ، وكان ابن بضع وسبعين سنة . وقال ابن زيد : العِتِيُّ : الذي قد عَتا عن الولدِ فيما بَرَى في نفسه لا يُولَدُ له [٨] .

٦١- قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾

القراءة: اختلف القُرّاء في قوله تعالى : " تكاد السموات يتفطرن منه " في الياء والتاء . فقرأ نافع والكسائي " يكاد " بالياء من تحت ومثله في الشورى . وقرأ عاصم في

---

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٣ / ٣٢١ / ٣٢٢ ، وزاد المسير جـ ٥ / ٢١١ .

(٧) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ١٩٤ .

(٨) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٥ / ٧٤ .

رواية أبي بكر، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وابن كثير، وشعبة، ويعقوب، وخلف، وحفص، وأبو جعفر " تكاد " بالتاء من فوق . وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف، وشعبة " تَتَفَطَّرْنَ " بالتاء مشددة الطاء . وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف، وشعبة، وأبو عمرو"يَنْفَطِرْنَ " بالياء والنون . وروى ابن اليتيم عن أبي حفص، عن حفص، عن عاصم " يَتَفَطَّرْنَ " بالياء مشددة الطاء . وقرأ نافع والكسائي " تَتَفَطَّرْنَ " بالياء مشددة الطاء . وقرأ أبو بكر وأبو عمرو في الشورى بالنون والتخفيف وقرأها الباقون بالتاء والتشديد . وقال الألوسي: قرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر، عن عاصم، ويعقوب، وأبو بحرية، والزهري، وطلحة، وحميد، واليزيدي، وأبو عبيد " ينفطرن" مضارع انفطر . وتوافق القراءتين يقتضي ذلك . وقرأ ابن مسعود " يتصدعن " . قال في البحر: وينبغي أن يجعل ذلك تفسيراً لا قراءة لمخالفة سواد المصحف المجمع عليه، ولرواية الثقات عنه أنه قرأ كالجمهور [٩] . وقد رُوى أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: "ينفطرن" بالياء والنون " وتخر الجبال " بالتاء، " أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً " مفتوحة بعد مفتوحة . فقد روى الحاكم في مستدركه بإسناد

---

(٩) انظر : السبعة لابن مجاهد ص : ٤١٢ / ٤١٣ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ٢١٣ / ٢١٤ ، والكشف جـ ٢ / ٩٣ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٤٢٦ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٩٤ ، والتيسير ص : ١٢٢ ، والنشر في القراءات العشر جـ ٢ / ٣١٩ ، وروح المعاني للألوسي جـ ١١ / ١٠١ / ١٠٢ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٢٤٠ / ٢٤١ ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط جـ ٢ / ٤٠٥ ، والكشاف جـ ٣ / ٤٤ ، ومعاني القرآن للفراء جـ ٢ / ١٧٤ .

صحيح قال: حدَّثنا أبو زكريا يحي بن محمد العنبري، ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدي، ثنا عبد الله بن محمد النفيلي، ثنا محمد بن سلمة الحراني، ثنا عبد الرحمن بن محمد الحراني، عن مكحول، عن أبي أمامة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قرأ: " تكاد السموات ينفطرن منه " بالياء والنون، " وتخر الجبال " بالتاء، " أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً " مفتوحة بعد مفتوحة. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح[١٠].

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ " ينفطرن " بالنون مخففاً أنه جعله مطاوع "فطر" كما قال " فَطَرَهُنّ " [سورة الأنبياء / ٥٦]، وقال: " إذا السماءُ انفطرت" [سورة الانفطار / ١]. ولم يقل " تفطرت "، وقال: " فاطر السماوات " [سورة الأنعام / ١٤]، وقال: " السماء منفطر به " [سورة المزمل / ١٨]، فكلّه إجماع في: فطر وانفطر من فطره: شقه. وحجة من قرأ " يتفطّرن " بالتاء مشدداً أنه جعله مطاوع " فطّر وفطّر من التكثير، والتكثير أليق بهذا المعنى، لأنه موضع مبالغة واستعظام لما قالوا: إن لله ولداً، ومن قرأ " يكاد " بالياء من تحت على التذكير، ومن قرأ " تكاد " بالتاء من فوق فعلي التأنيث حملاً على لفظه. وقال الأخفش: ومعنى تكاد: يرد، فالمعنى: يُرِدْنَ، لأنهنّ لا يكون أن ينفطرنَ ولا يدنونَ من ذلك، ولكنهنَ هممن به إعظاماً لقول

---

(١٠) أخرجه الحاكم في: كتاب التفسير، باب قراءات النبي، صلى الله عليه وسلم، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٤٥.

المشركين، ولا يكون على مَنْ همَّ بالشئ أن يدنو منه، ألا ترى أنّ رجلاً لو أراد أن ينال السماء لم يَدْنُ من ذلك، وقد كانت منه إرادة . وَتَقْرَأُ " يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ "، وَيُقْرَأُ "يَنْفَطِرْنَ " للكثرة [١١] . وحجة من قرأ " يتصدعن " أي: تهد هدًّا، أو مهدودة، أو مفعول به، أي: لأنها تهدّ [١٢] .

وقال أبو علي الفارسي: وقراءة من قرأ " يَنفطرن " وذاك أن قوله " إذا السماء انفطرت " كقوله: " إذا السماء انشقت " وذلك في القيامة لما يريد الله، سبحانه، من إبادتها وإفنائها، وجاء ذلك على تفعّل أيضاً في قوله: " ويوم تشقق السماء بالغمام " [سورة الفرقان / ٢٥] . وما في سورة مريم، إنما هو لعظم فِريتهم وعُتّوهم في كفرهم، فالمعنيان مختلفان . وذهب أبو الحسن في معنى قوله: " تكاد السموات " إلى أن تكاد: معناها: تريد، وكذلك قال في قوله: " كذلك كدنا ليوسف " [سورة يوسف / ٧٦]، أي: أردنا له . قال أبو الحسن: المعنى: يدنون . لأنهن لا يكون أن يتفطرن ولا يدنون من ذلك، ولكن هي هممن به إعظاماً لقول المشركين، ولا يكون على من همّ بالشيء أن يدنو منه، ألا ترى أن رجلاً لو أراد أن ينال الماء لم يدن من ذلك، وقد كانت منه إرادة . وقال بعض المتأولين في قوله: " تكاد السموات يَنْفَطِرْنَ منه " هذا مَثَلٌ كانت

---

(١١) انظر : الكشف جـ ٢ / ٩٣ / ٩٤ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ٢١٤ / ٢١٥ / ٢١٦ ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط جـ ٢ / ٤٠٥ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٢٤٠ / ٢٤١ .

(١٢) انظر : الكشاف جـ ٣ / ٤٤ .

العرب إذا سمعت كذباً ومنكراً تعاظمته عظّمته، بالمثل الذي كان عندها عظيماً، تقول: كادت الأرض تنشقّ، وأظلم ما بين السماء والأرض، فلما افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء وأعظمها [١٣].

(١٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ٢١٤ / ٢١٥ / ٢١٦.